من غريب

الى عصفورة مغتربة

في خطرة فكر للناظم الف ان يرسل مثلها في موعد من كل عام تحية الى فقيد عزيز في عالم الغيب. وقد جعل مدارها في هذه القصيدة على عصفورة تعرف بالخُضيري اشتبهت عليه بين ان تكون مجلوبة للاتجار او قاطعة من قواطع الاطيار

يا من شكت ألمي معي طيّتهِ في مسمعي
شكواكِ الطف بلسم لجراحةِ الموجعِ
ما اعلق الشدو الرخيم بكل قلب مولعِ
غنّي اهازيج النوى وعلى نواحي وقعي

بتّ الكنانة مأوى[1] بك بين هذي الاربعِ
فيم اغتربتِ وكنت في ذاك الامان الاشبعِ
أحملتِ محل سلعةٍ جلباً بغير تطوّعِ
فررتِ من قفص الكفيل الى الفضاء الاوسعِ
وبودّك العود القريب لسربك المستتبعِ
في مصرَ مصرخةِ اللهيف وملجإ المتفزّعِ
مصر السماء الصحو مصر الدفء مصر المشبعِ
مصر التي ما ريع ما كنها بريح زعزعِ
حيث المراعي والندى للمرتوي والمرتعي
حيث السواقي الحانيات على الطيور القطّعِ
حيث الحرارة ما توا لي ربيها بترعرعِ

ام انتِ من تلك الجوا لي في الفصول الاربعِ
لا تعرفين من الزمان سوى المكان المربعِ
لشبين من متربّعٍ ابداً الى متربعِ
بهداية صحّت على طلب الاحب الانفعِ

(١) الكنانة مصر

وتقلب الفكر في التوجّه واختيار المنجع
وغناء رأي عن دلا لة ابرة او مبجع
وقناعة من قسمة لك عند خير موزع
في السرب اني سارلا تخشين سوء الموقع

السرب ما في السرب من عجب لذي قلب يعي
تنضمّ حين جلائه اشتاته في مجمع
من غير ميعاد تقدّم للرحيل المزمع
فاذا علا ازرى على سرب السفين المقلع
آلافُ آلافٍ بغير تلكؤ وتضعضع
وبلا هزيز تثاقُل وبلا ازيز تخلّع
وبلا اصطدام في الزحام محطّم ومصدّع
ان تلتثم فرورها كالعارض المتقشع
او تفترق فهي الجيو ش بقادة وبتبع
كلٌّ يسير ولا يخالف في الطريق المشرع
كلٌّ يجاري رأيهُ والرأي غير موزّع
كلٌّ كربّان بدير زمام فلك طيع

بالبين يا غريدة الوادي الى الوادي ارجعي[1]
اني لامتع في غنائك رقرقات الادمع
ويروعني شجن به كشجى بحلق مودع
تلك البراعة ما استقت في جمال ابرع

جسم كخُلق للحياة معرّق ومضلّع
يغشاهُ ثوب دبّجت الوانهُ يد مبدع
المتن يزدهر ازدهار الاخضر المتجمع
والصدر فيها دونهُ يزهى باحمر مشبع

(١) يريد بالوادي وادي النيل

والجيد زين من النضار بحلية لم تصنع
درع كل نقش في الخلال موشّع ومبقع
ودع القوادم تستقل بريشها المتنوّع
آيات خلق من يجل نظراً بها يتخشع
أعظم بها في ذلك الجسم الصغير الأضرع (١)
لولا الحراك لخيل من ثمر هنالك مونع
حلو الشمائل ان يجار الطبع او يتطبع
يرنو بقائضتي صفى كالجوهر المتطلع
يسهو بفاتنتين تسدلان سدل البرقع
متطاول الخدين في وجه حديد المقطع
منقاره كقلامتين من الظلام الاصمع

اخت الشوادي الخضر حانت لفتة المتوجع (٢)
بك نزعتي نحو الحمى وعداك قيدي فالزعي
الفي الوداع تأهباً واستوفزي واستجمعي
لله وثبتك البديعة اذ وثبت لتطلعي
حيث الضحى متساكب كطلاً بكفة مشعشع
والريح تمخض آخر النفحات حضن المرضع
والمدوح مياد الرؤوس مشيع بالاذرع
وتعطف الافنان شبه تقصف فيه اضلع

خضت الضياء على غوارب موجه المتدفع
لتصاندين وما الشهاب على الهبوط باسرع
يرمي جناحاك النهاري بالشعاع السطع
وتراع رائعة النهار لومجك المتفزع
ولشكة الالوان حولك كالنصال الشرّع
مزقت استار الشتى عن عالم متقنع

(١) الضعيف (٢) المسافر

جَمَّ الخلايا في حواشي النور خافي الموضعِ
اعيَتْ خطبك في قراءهُ وفي الذرائر اجمعِ
انظرت عن كثب الى ملاءٍ هناك مروَّعِ
هي وقفة سيفٍ الجوّ بين هبائهِ المتلمعِ
هبت خلائقهُ على ذاك المغير المفزعِ
في أسد غاب تستطير وفي ذباب وُقَّعِ
يجدون حرباً كالكماة وكالرماة الركّعِ
يكرون او يغرون بين تفرُّد وتجمعِ
يرمين بالرُجُم الدراق وبالنجوم الطُلَّعِ[1]

تبغي بنارتك السنية في المجال الارفعِ
ما شأن كسرى في الفتوح وما مفاخر تُبَّعِ
لا مجد يبلغ مجدك الامسى بذاك المَفرَعِ[2]
لامفر اروح من تغيُّر خصمك المتضعضعِ
لا سلم ابهج من تهايُل ركنهِ المتزعزعِ
أُمُّ الاثير جمالها في ان تُراعَ فروّعي
وتمامُ آيةِ حسنها بالأمن بعد تفزعِ
فاذا مضيتِ ولم تُصَب بيلائك المتوقعِ
بل جزتِ بالحسنى وساء تورُّع المتورّعِ
ثابت الى فرح كذلك توبة المتسرّعِ
فسديمها كغبار دُرٍّ ساطع سيفٍ مَنطَعِ
والجوُّ تملأهُ نُسَا لاتُ البروق اللُمَّعِ

سيري وولّي صدرك المشتاق شطر المربعِ
حتى اذا ما جئتهِ وشرعتَ اعذبَ مشرَعِ
وشدوت ما شاء السرور على ارتقاص الاذرُعِ

(١) التي تنسرق مشبها وهو شبيه بالمريخ (٢) المفزع المصعد

هوجي ببستان هنالك في العراء مضيّع
صفصافهُ متناوح والنور باديهِ المدمع
لي في ثراهُ دفينة كالكنز في المستودع
تخفي الازاهر قبرها عن اعين المستطلع
كانت مثالاً للمحاسن في مثالٍ ارو ع
فتحوّلت لطفاً الى طيف ارقّ وابدع
طيف يشفّ به اليلي عن رفعةٍ وتشفّع
فاذا السماء قرارةٌ والنجم بعض البرّع
قولي لهُ ان جئتهِ يا انس هذا البلقع
انحسُ في هذا الثرى نبضانَ قلبٍ موجع
هذا حنين من فؤا دٍ محبكِ المتفجع
علّت العوادي جسمهُ عن قرب هذا المضجع
فمضى باحزن ما يكون اخو الاسى وباجزع
ونوى الضريح اضرّهُ كنواك يوم المصرع

نم الشفيعة انتِ لي عند الملائك فاشفعي
من لي بصوت مثل صوتك مبلغ لتضرعي
يُنمى الى ثاوي الجنا ن ليستجيب وقد دعي
ان الذي ابكيهِ وهو من النعيم بمرتع
برٌّ على رغم الفرا ق بعبده المتضعضع
كم زرتهُ في يقظة والمُ لي في مهجع
يدنو اليَّ تنزّلاً عن عرشهِ المترفع
وكم انحنت لصوته رَجعاً تحقق مطمعي
قطع الغيوبَ وجاءني بعروضهِ المتقطع
هذا الوفاء وفاؤهُ فادعيهِ لا بتّع
بهتاف لوعتيَ اهتفي وصدى غرامي ارجعي
حتى يجيب فأنصتي لصريخيَ المتسمع

خليل مطران